الفصل الثاني

الاتجاهات والنظريات المفسرة للعنف

obeikandl.com

الفصل الثانى
الاتجاهات والنظريات المفسرة للعنف

العنف قديم قدم الإنسان على هذه الأرض وفى هذا نستدل بما جاء ذكره فى القرآن الكريم حيث قال الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾[1].

"وتدل هذه الآية الكريمة على أن الملائكة لا تعلم إلا ما أعلمت ولا تسبق بالقول وذلك عام فى جميع الملائكة وقيل إنهم لما سمعوا لفظ خليفة فهموا أن فى بنى آدم من يفسد ، إذا الخليفة المقصود منه الإصلاح وترك الفساد ، لكن عمموا الحكم على الجميع بالمعصية ، فبين الله سبحانه وتعالى ، أن فيهم من يفسد ومن لا يفسد"[2].

كما سجل القرآن الكريم أول عدوان وظلم ارتكبه الإنسان فى حق أخيه فى قضية ابنى آدم ، اللذين قتل أحدهما الآخر ، حقدا وظلما وأنانية حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين * إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين﴾[3].

قال المفسرون: "لما أراد آدم أن يزوج قابيل أخت هابيل ويزوج هابيل أخت قابيل رضى هابيل وأبى قابيل لأن توأمته كانت أجمل فقال لهما آدم: قربا قربانا فمن أيكما تقبل تزوجها ، وكان قابيل صاحب زرع فقرب أرذل زرعه وكان هابيل صاحب غنم فقرب أحسن كبش عنده فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل ، أى قال قابيل لأخيه هابيل

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٢) القرطبى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى: **تفسير القرطبى** ، الجامع لأحكام القرآن ، ط٣ ، المجلد الأول ، دار الغد العربى ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ص ص ٣٠٥ ، ٣٠٧.

(٣) سورة المائدة: الآيات (٢٧ : ٣٠).

لأقتلنك قال: لم؟ قال لأنه تقبل قربانك ولم يتقبل قربانى ، قال: وما ذنبى؟ إنما يتقبل ممن اتقى ربه وأخلص نيته"[1].

ونستدل من نبأ ابنى آدم أن العدوان كان موجودا فى الماضى وما يزال فى الحاضر وسيظل موجودا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ لحكمة يعلمها الله – سبحانه وتعالى[2]. فقد أجاب الله تعالى تساؤل الملائكة الذى ذكرناه سابقا بقوله: ﴿ ... إني أعلم ما لا تعلمون﴾[3].

"أى: إن الله –سبحانه وتعالى– أعلم بالمصلحة الراجحة فى خلق هذا الصنف على المفاسد التى ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم ، فإنى سأجعل فيهم الأنبياء ، وأرسل فيهم الرسل ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء و الأبرار والمقربون والعلماء العاملون والمحبون له – تعالى– المتبعون رسله"[4].

وحث رسول الله ﷺ المسلمين على العفو والصفح فى أمور مثل القصاص فقال: "إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف"[5].

ولعل ما سبق يوضح أن العنف قديم قدم وجود الإنسان فهو ليس بظاهرة جديدة ، ولكنها تفاقمت وتعقدت مع تعقد حياة الإنسان وزيادة التطور التكنولوجى فى عصر العولمة وما يتبعها من إرهاب عالمى وفوضى مما أدى لحدوث اضطرابات شتى فى المجتمع بمؤسساته المختلفة مما انعكس على المجتمع المدرسى.

---

(١) محمد على الصابونى ، **صفوة التفاسير**: تفسير للقرآن الكريم ، الجزء الثالث ، دار الرشيد سوريا ، حلب ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، ص ص ٣٣٨ – ٣٣٩.

(٢) كمال إبراهيم موسى: "سيكولوجية العدوان" ، **مجلة العلوم الاجتماعية** ، الكويت ، المجلد الثالث عشر ، العدد الثانى ، ١٩٨٥ ، ص ٤٦.

(٣) سورة البقرة: من الآية ٣٠.

(٤) محمد سيد طنطاوى: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، المجلد الأول ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٤١٢هـ ١٩٩٢ ، ص ٩٣.

(٥) البخارى: **فتح البارى بشرح صحيح البخارى** ، ط٢ ، الجزء العاشر ، باب الرفق فى الأمر كله رقم ٣٥ ، حديث رقم (٦٠٢٥) ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م ، ص ص ٤٦٣-٤٦٤.

فهناك العديد من الظواهر والمشكلات التي يشهدها العالم في عصر العولمة ، ومن هذه المشكلات على سبيل المثال تنامي نزعات التطرف والعنف والتفكك الداخلي لبعض الدول والمجتمعات(١).

وفى رأى بعض الباحثين أن التطور العلمي والتكنولوجي وثورة الاتصالات والمعلومات ساهمت كلها بشكل أو بآخر فى إيجاد طرق جديدة أكثر تطورا لارتكاب الجرائم والإفلات من العقاب ، فظهرت العديد من الجرائم المستحدثة كالجرائم المنظمة والإرهاب والعنف والتطرف وجرائم غسيل الأموال وجرائم الحاسب الآلي وتجارة الأعضاء البشرية على مستوي العالم(٢).

وتتعدد تفسيرات العنف بتعدد الاتجاهات النظرية المختلفة التى تتناول العنف بالدراسة والتحليل ، وبالرجوع إلى التراث النظرى فيما يتعلق بالعنف ؛ تبين أن هناك عدة اتجاهات تحاول دراسة هذه الظاهرة وتحليلها وفهمها لمعرفتها والتصدى لها ومواجهتها وأبرز هذه الاتجاهات هى : الاتجاه النفسى ، الاتجاه الاجتماعى ، الاتجاه البيولوجى ، الاتجاه التكاملى ، وهذه الاتجاهات متكاملة فيما بينها للوصول إلى رسم صورة واضحة لظاهرة العنف نظرا لتعقدها ؛ حتى يتسنى لنا فهم عوامل انتشار العنف فى المدارس والتصدى لها ، وتفصيل هذا كما يلى:

أولا: الاتجاه النفسى:

يتناول الاتجاه النفسى دراسة شخصية الفرد من صفات حيوية وسمات نفسية ، والتكوين النفسى كالمشاعر والذكاء ، وصفاته الشخصية كالجنس والسن والعنصر ، وفيما يلى عرض لأهم النظريات منها نظرية التحليل النفسى ، كما يلى:

نظرية التحليل النفسى:

تعزو الجنوح إلى ما يصيب تكوين الشخصية من خطأ فى مرحلة الطفولة المبكرة قبل أن يقوى الطفل على مغادرة البيت ذاته وقبل بلوغه مرحلة المراهقة وتطلعه إلى الاستقلال الذاتى عن الأسرة ، حيث نجد أنه خلال العلمين

---

(١) حسين توفيق إبراهيم وآخرون : "العولمة : الأبعاد والانعكاسات السياسية ، رؤية أولية من منظور علم السياسة" ، **مجلة عالم الفكر** ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، دولة الكويت ، المجلد الثامن والعشرون ، العدد الثاني ، أكتوبر/ديسمبر ١٩٩٩ ، ص٢١٢ .

(٢) محمد سليمان الوهيد : "الجريمة المنظمة وأساليب مواجهتها فى الوطن العربى" ، ندوة علمية فى الإسكندرية نظمتها أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالتعاون مع الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحرى ، **مجلة الأمن والحياة** ، الرياض ، العدد ١٩٠ ، ربيع الأول ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، ص ١٤.

أو الأعوام الثلاثة الأولى من الحياة يكون الطفل "جانحا" وذلك لأنه يتصرف وفق أهوائه هو دونما إدراك أو اكتراث لأى رادع ، فالطفل يأخذ ما يريد حالا وبصورة مباشرة ومن غير وازع ، وهو يتلذذ من سلوكه الذى قد لا يرضينا فى معظم الأحيان.

لذا فقد أكدت مدارس التحليل النفسى على وجوب التأديب والترويض الذاتى ، فلا التدليل المفرط يأخذ بالطفل إلى بلوغ أهدافه فى الحياة ، ولا القسوة أو الإهمال يؤديان به إلى معرفة الخطأ من الصواب. ولعل فى قول أصحاب نظريات التحليل النفسى بأن الجنوح إنما هو امتداد تدريجى يصاحب الطفولة من مراحلها المتفاوتة ، هو قول لا يخلو من روح الواقع وينطبق تمام الانطباق على ما أسفرت عنه الدراسات المتحرزة الخاصة بالجنوح(١).

ويشير "أريكسون" فى نمو الهوية السلبية لدى المراهقين ، أن كثيرا من المراهقين المتأخرين يواجهون انتشار مستمرا فى الهوية فيما يخص بقدراتهم الخاصة ومكانهم المنتظر داخل مجتمعهم.

وسؤال هذه المرحلة "من سأكون؟ يستمر قائما والفرد قادر على حل ورطته بأن ينحرف ، وبذلك يكون قد اختار الهوية المضادة لتلك التى يقترحها المجتمع ، وذلك مفضلا على أن يظل معدوم الهوية"(٢).

العنف من وجهة نظر مدرسة التحليل النفسى:

ينشأ العنف نتيجة الصراع بين الإنسان ونفسه ومعطيات العالم المحسوس الذى يعيش بين جوانبه ، عندما تدفعه رغباته لكى يحقق أمرا معينا ويصطدم بعائق فإنه يقع نهبا للصراع النفسى إذا تعرض لمجموعة من القوى المتساوية تدفعه فى اتجاهات متعددة فيصاب بالتشتت والتوتر والصراع الذى ينتج عنه سلوك العنف(٣).

وتؤكد تلك المدرسة أن الإنسان الذى يريد لنفسه أن يتجنب الصراع والتوتر عليه أن يشبع دوافعه البيولوجية دون أن يتأثر بما قد يصلح عليه المجتمع من قيم وتقاليد وعادات قد تصطدم مع هذه الحفزات البيولوجية ، ويشكل هذا الاتجاه النفسى صورة الصراع النفسى على أنها حرب ضروس تشنها أجهزة

---

(١) عبد العلى الجسمانى : **سيكولوجية الطفولة والمراهقة وحقائقها الأساسية** ، ط١ ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤ ، ص ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

(٢) هنرى و. ماير: **ثلاث نظريات فى نمو الطفل** ، ترجمة/ هدى قناوى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص٦٥.

(٣) سيد صبحى وآخرون : **الحاجات النفسية والاجتماعية وضرورة إشباعها** ، موسوعة سفير لتربية الأبناء ، المجلد الثانى ، شركة سفير ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ٣٤٤.

الشخصية ، تلك الأجهزة التى صورها أصحاب مدرسة التحليل النفسى على الوجه التالى[1].

شكل رقم (١)
العنف من وجهة نظر مدرسة التحليل النفسى

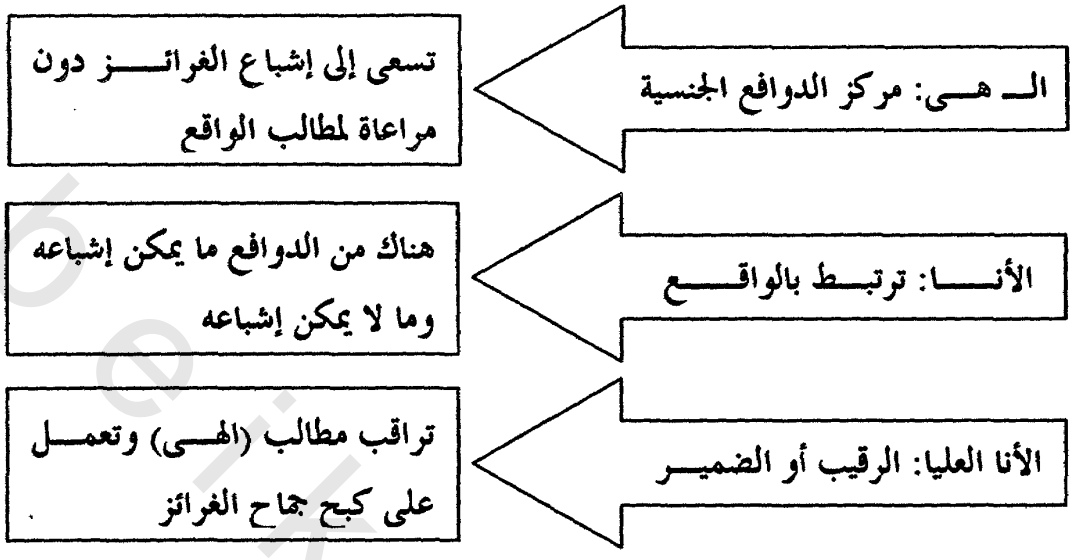

وللتفسير التحليلى المستمد من مدرسة التحليل النفسى أهمية كبيرة ذلك لأن معظم المنحرفين عن الطريق السوى فى حاجة إلى المعالجة النفسية أكثر من إنزال العقاب بهم ويلزم معرفة دوافعهم الحقيقية وراء العنف ، ولقد دارت إحدى الدراسات عن وجود (٩١%) من الأطفال الجانحين كانوا مصابين ببعض الاضطرابات الانفعالية من ذلك الشعور بعدم الأمان فى العلاقات العاطفية والشعور بالتهديد ، واضطرابات نفسية متعلقة بنظام الأسرة فى تأديب الطفل وشعور قوى بالنقص والشعور بالغيرة والمنافسة والصراعات النفسية الداخلية القوية والشعور بالذنب على المستوى اللا شعورى والحاجة إلى العقاب حين يرغب الإنسان فى عقاب ذاته ، أما المجموعة السوية الضابطة فلم تظهر مثل هذه الاضطرابات إلا فى (١٣%) من مجموعهم والذين أظهروا الشعور بالضغط الداخلى[2].

ثانيا: الاتجاه الاجتماعى:

يركز هذا الاتجاه على السياق النفسى والاجتماعى للإنسان والظروف والمتغيرات التى أدت إلى استخدامه للعنف والعدوان للتعبير عن شخصيته

---

(١) سيد صبحى : **ونفس وما سواها** ، دراسات فى الصحة النفسية ، ط٢ ، المطبعة التجارية الحديثة ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٥٣.

(٢) عبد الرحمن العيسوى وآخرون : **العوامل الاجتماعية والنفسية فى الجريمة والجنوح والانحراف** ، المؤتمر السنوى للجمعية المصرية للطب والقانون "العشوائيات" دار النشر الثقافية الإسكندرية ، فى الفترة ما بين٢٤ - ٢٦ مارس ١٩٩٨ ، ص ص ١٧١ - ١٧٢.

للتصدى للإعاقات الشعور بالفوارق الطبقية بالغة الحدة التى تعوق عن تحقيق الهدف ، فهو يتعدى بالتخريب. والتدمير على نواتج هذه الظروف كما تتبدى له مظاهر كثيرة فى محيطه الاجتماعى[1].

ويمكن استعراض عدة نظريات فى هذا الاتجاه مثل: نظرية الضبط الاجتماعى ، ونظرية الثقافة الفرعية ، ونظرية التعلم الاجتماعى ، ونظرية التفكك الاجتماعى والجريمة ، ونظرية البيئة ، والنظرية الطبيعية ، والنظرية الاقتصادية فى تفسير الجريمة ، وفيما يلى توضيح ذلك:

أ- نظرية الضبط الاجتماعى:

وهذه النظرية تستخدم من قبل الأخصائيين الاجتماعيين التى ترى أن العنف ما هو إلا غريزة إنسانية داخلية فيظهر العنف عندما يفشل المجتمع فى ضبط أفراده وإحكام السيطرة والهيمنة عليهم ، فيرى أنصار هذه النظرية أن خط الدفاع الأول للمجتمع تلك المجموعات التى لا تشجع سلوك العنف ، أما أولئك الذين لا يسيطر عليهم من قبل أسرهم أو الجماعات الأولية فيتم ضبطهم والسيطرة عليهم عن طريق جبرية القانون والشرطة.. فعندما يفشلان فى إحكام السيطرة يظهر سلوك العنف. وعلى أية حال هذه النظرية مثل النظرية الفرويدية ولكن الاختلاف الجوهرى هو أن العنف من وجهة نظر هذه النظرية يتم ضبطه عن طريق المجتمع من آى آلية أخرى للفرد[2].

وتدور نظرية الضبط الاجتماعى حول افتراض مؤداه أن الدافع للانحراف شىء طبيعى يوجد لدى جميع الأفراد ، كما تذهب إلى أن الطاعة والامتثال هى الشىء الذى يجب أن يتعلمه الفرد ، وهناك ثلاثة أنماط من الضبط على النحو التالى:

أ-الضبط المباشر:

وهو أسلوب ظاهرى ، يشير إلى الضوابط التى توضع أمام الفرد ، مثل القوانين الرسمية التى تحرم أنواعا معينة من السلوك ، أو صور للعقاب المختلفة.

ب- الضبط غير المباشر:

وهو يركز أساسا على الارتباط العاطفى بالوالدين ، وبأشخاص محافظين.

---

(١) سيد عبد العال : **علم النفس الاجتماعى** ، مكتبة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٥.

(2) James William Coleman and Donald R. Cressy, **Op. Cit.**, p.448.

ج-الضبط الذاتي:

وهو يشير إلى الشعور الذى يكون لدى الفرد ، والذى يعمل على توجيه سلوكه ، فعندما تندمج القواعد والقوانين فى نفس الفرد تصبح جزءا منه ، وبذلك يطيع القانون ليس لأن انتهاكه غير شرعى ، ولكن لأن القانون هو الشيء الصحيح الذى يجب أن يتمسك به[١].

باختصار ، فإن نظرية الضبط الاجتماعى ، تنظر إلى الطبيعة البشرية من خلال وجهة النظر التى تفترض أن الانحراف أمر طبيعى وسوى ، فمن خلال وجود نظام أخلاقى قائم ، وإطار مرجعى تقليدى فى المجتمع ، تجد نظرية الضبط الاجتماعى مؤسسات اجتماعية تزيد من قوة الرابطة التى تربط الأفراد بالنظام الأخلاقى تضعف أيضا وتسمح هذه الرابطة الضعيفة بصورة آلية - بحدوث درجة أكبر من الانحراف[٢].

ويؤكد أصحاب نظرية الضبط الاجتماعى إلى أن خط الدفاع الاجتماعى الأول بالنسبة للمجتمع يتمثل فى معايير الجماعة التى لا تشجع على العنف ، وترفضه ، لأنه سلوك غير مقبول ومستهجن اجتماعيا[٣].

٣-نظرية الثقافة الفرعية:

الباحثون الذين يتبنون هذه التفسيرات الخاصة بالثقافة الفرعية يميلون إلى أن قيم واتجاهات شباب الطبقة الدنيا تختلف عن مفهوم قيم الطبقة المتوسطة ، فالشباب الذين يعانون من الفقر والمشكلات الاجتماعية والجريمة يتبنى قيما واتجاهات مختلفة ، وحيث تكون الجريمة والعنف شائعة أكثر تكون اتجاهات الشخص ضد (تجاه) القانون وقوة ردعه ، كما ينظر للسلوك العنيف بأنه عادى وجزء مقبول من الحياة ، وينظر لانتهاكات القانون مثل السرقة والاتجار بالمخدرات والدعارة من البعض على أنها أسلوب للتغلب على البطالة والفقر وتفضل التهديدات والهجمات الجسمية على المفاوضات الكلامية كوسيلة لحل النزاعات[٤].

---

(١) حسام جابر أحمد صالح: **مرجع سابق** ، ص ص ٣٦ - ٣٧.

(٢) عدلى السمرى: **السلوك الإجرامى**: النظريات ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٤ ، ص ٢٦٠.

(٣) محمد توفيق سلام : **العنف لدى طلبة المدارس الثانوية فى مصر** ، المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية ، شعبة بحوث المعلومات التربوية ، ٢٠٠٠ ، ص ١٣.

(4) Richard Lawrence: **School Crime and Juvenile Justice** , Published by Oxford University Press , Inc ; 1998 ,p.47.

وتكشف هذه النظرية عن أن الاتجاهات نحو العنف تختلف بشكل كبير من جماعة إلى أخرى داخل نفس المجتمع ، وتتميز الثقافة الفرعية للعنف بأن لها اتجاهات إيجابية نحو العنف وان هذه الاتجاهات تشجع على ظهور سلوك العنف فى كثير من الأحيان. كما يفضل الأعضاء الذين ينتمون لهذه الثقافة الفرعية أسلوب الخشونة ، كما يشجعون السلوك العدوانى بين الذكور[١].

ويتضح مما سبق أن الثقافة الفرعية للعنف تعتبر جزءا من الثقافة العامة السائدة فى المجتمع ، كما أنه ليس من الضرورى أن يعبر أعضاء الثقافة الفرعية عن العنف فى جميع المواقف ، كما نجد أن إمكانية اللجوء إلى العنف فى مواقف متنوعة تعتمد على مدى شدة وانتشار سمة الثقافة الفرعية للعنف ، كما يتضح أن روح جماعة الثقافة الفرعية للعنف تزداد وضوحا فى فئة عمريه محددة تتراوح من المراهقة المتأخرة إلى منتصف العمر ، ونجد أن سلوك العنف داخل إطار الثقافة الفرعية يعد سلوكا متعلما ومقبول اجتماعيا[٢].

وقد تعرضت نظرية الثقافة الفرعية للعنف لعدة انتقادات لعل من أهمها أن فكرة عنف الذكورة ليس بنمط واحد لدى أفراد المجتمع ، ويؤكدون على أن أولئك الذين يلجئون للعنف ليس بالضرورة أن يكونوا كذلك أى عدوانيين ولكن الموقف نفسه يحتم عليهم ذلك السلوك[٣].

٣-نظرية التعلم الاجتماعى:

يرى أصحاب هذه النظرية أن العنف سلوك متعلم أو سلوك يتم تعلمه من خلال عملية التفاعل الاجتماعى.

فالناس يتعلمون سلوك العنف بنفس الطريقة التى يتعلمون بها أى نمط آخر من أنماط السلوك الاجتماعى وهناك كثير من الأدلة التى تؤكد أن سلوك العنف يتم تعلمه عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية التى تقوم بها المؤسسات المختلفة للتنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق وغيرها[٤].

وهناك علاقة بين العنف وعلاقته بحل المشكلات أن الفرد قد يلجأ أحيانا إلى العنف كأسلوب لحل المشكلات ، ويتم ذلك بناء على خطوات للتعليم تبدأ بنقد الآخرين واتخاذ موقف منهم ، ثم تطوير أساليب للتصنيف لأبعاد الآخرين ، ثم أخيرا محاولة خلع الطابع الإنسانى والشرعى على أفعال العنف الموجه نحو

---

(1) James William Coleman and Donald R Cressy: **Op. Cit.**, *p.* 447.

(٢) حسام جابر أحمد صالح: **مرجع سابق** ، ص ص ٣٥ - ٣٦.

(3) James William Coleman andDonald R. Cressy:**Op. Cit.**, p. 450.

(٤) محمد توفيق سلام: **مرجع سابق** ، ص ١١.

الآخرين ، ويعني ذلك أن السلوك العنيف هو سلوك يمكن تعلمه مثل كل أشكال السلوك الأخرى[١].

٤- نظرية التفكك الاجتماعي والجريمة:

اعتبر بعض المتخصصين فى علم الاجتماع التفكك الاجتماعى هو السبب الرئيس للسلوك الإجرامى ، والجريمة تمتد جذورها إلى التنظيم الاجتماعى وهى تعبير عن هذا التنظيم فالجماعة قد يكون تنظيمها لمعارضة ومواجهة هذا النوع من السلوك.

كما يرى "برجى" أن عوامل التغير السكانى والظروف السكنية والفقر والمواليد والمرض وجرائم البالغين والاضطرابات العقلية كل هذه العوامل ترتبط ارتباطا عاليا بالجريمة ، كما أنها ترتبط فيما بينها ارتباطا عاليا وهذه العوامل كلها ما هى إلا مظاهر لعامل أساسى عام هو التفكك الاجتماعى أو قصور جهد المجتمع المحلى لمواجهة هذه المشكلات كما يرى "شو" وزملاؤه أنه فى ظل الظروف القائمة فى الأحياء المتخلفة يصبح المجتمع مفككا ، وتضعف رقابته على أعضائه ، بحيث لا يخضعون للمعايير الاجتماعية المقررة ومن ثم ينعدم تكامل النظم الاجتماعية. ويرى "شو" أنه تحت هذه الظروف تصبح الأنماط الجانحة شائعة وتنتقل فى حرية ، حتى تصبح فى الواقع الثقافة السائدة فى مناطق يرتفع فيها وهنا يتعلم الصغار الذين ينشأون فى مثل هذه المناطق الأنماط الجانحة على أنها الطريقة الطبيعية للسلوك[٢].

ويؤدى التفكك الأسرى فى بعض الأحيان إلى تهيئة الظروف لانحراف أفراد الأسرة ، خصوصا الأولاد من البنين والبنات ، فعندما تتفكك الأسرة ويتشتت شملها ، ينتج عن ذلك شعور لدى أفرادها بعدم الأمان الاجتماعى ، وضعف القدرة لدى الفرد على مواجهة المشكلات ، وتحوله للبحث عن أيسر الطرق وأسرعها لتحقيق المراد دون النظر لشرعية الوسيلة المستخدمة فى الوصول للهدف ، فيصبح المذهب "الميكافيللى" هو الموجه لسلوك الفرد. وفى هذا تغييب للضمير والالتزام بالمعايير والنظم الاجتماعية السائدة التى توجه سلوك الأفراد نحو الطرق المقبولة لتحقيق الأهداف بصورة مشروعة والشاهد

---

(١) سميحة نصر: **العنف والمشقة: الاستهداف للعنف والتعرض لأحداث الحياة المشقة** ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص ٤٩.

(٢) محمد عارف: **الجريمة فى المجتمع** ، نقد منهجى لتفسير السلوك الإجرامى ، ط٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص ص ٤٢٨ ، ٤٣٣.

على ذلك هم الأحداث من الذكور والإناث فى "دور الملاحظة" الذين ينحرفون ويقعون فى سلوك إجرامى نتيجة لتفكك أسرهم(١).

٥- النظرية البيئية فى تفسير العنف:

تعتبر البيئة العائلية أهم بيئة فى حياة الفرد ، أو هى أول ما يفتح عليه عينيه ليقضى فيها السنوات الأولى من حياته وهذه السنوات لها أثر كبير فى تكييف شخصيته ، وعلى البيئة العائلية فى الأهمية باقى البيئات الخارجية التى يغشاها الإنسان ، وتؤثر فى شخصيته أيضا كالمدرسة والشارع والمصنع والمكتب والنادى والمقهى وغيرها مما يصعب حصره(٢).

كما أن نقص التفاهم والشعور بالدفء بين الوالدين (داخل الأسرة ، استخدام العنف البدنى ، نقص التوجيه السلوكى السليم وتوجيه أنشطة الطفل ، وزيادة الحماية الوالدية وزيادة نسبة عنف التلفاز بنسبة ٨٥% كلها تؤدى إلى السلوك العنيف للطفل منذ السنوات الأولى(٣).

فالعنف سلوك متعلم ويقوى داخل نطاق الأسرة فى ظل ظروف والدية غير ملائمة، حيث إن الوالدين يسيئان تعليم الأطفال ويحاولان إقناع الأطفال بأن العنف والعدوان له وسائل (نتائج) فعالة للسيطرة على الآخرين والحصول على ما يريدون ، ولذلك ينتقل السلوك العدوانى من الآباء إلى الأبناء ثم ينتج لنا دائرة العنف(٤).

فمثلا الأسرة إذا كانت فقيرة سيئة فى أحوالها المعيشية والسكنية قد تجعل ولدها يشعر بعجز عن مجاراة رفقائه فى المدرسة فى شراء ما يحتاجه من الملابس والأدوات وفى الاشتراك فى الأنشطة المدرسية التى تنظمها المدرسة لتلاميذها فى مقابل اشتراكات بسيطة يدفعونها. وبالنسبة لسوء الأحوال السكنية

---

(١) أمينة الجابر وآخرون: "التفكك الأسرى الأسباب .. والحلول المقترحة" ، ط١ ، كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، قطر ، العدد ٨٣ ، جمادى الأولى ١٤٢٢هـ ، السنة الحادية والعشرون ، ٢٠٠١ ، ص ص ٩٠ - ٩١.

(٢) سمير عبده : **التحليل النفسى للجريمة** ، دار الكتاب العربى ، دمشق، ١٩٨٩ ، ص٣٧.

(3) Peterk Smith et al.: **The Nature Of School Bullying: Across-National Perspective, London And New York**, first published, 1999, pp. 8 -9

(4) Delwyn Tattum and Eva Tattum: **Op. Cit.**, pp. 13 – 14.

بالذات لأسرة التلميذ قد يجعله يشعر بالنقص والضآلة أمام زملائه الذين يـــأتون من مساكن لائقة[١].

كما يفرز التغير الاجتماعى السريع معطيات عديدة منها عدم قدرة الفـرد على التكيف مع الحالة الجديدة ، مما يؤدى إلى خلل وتفكك اجتماعى يعكس آثاره على سلوك الفرد والمعايير التى نحتكم إليها فى تنشيط أفعاله وهكذا فإننا نعتقد أن التغير الاجتماعى من أهم العوامل فى تهيئة الظروف الموضوعيـــة لانحـــراف الأحداث[٢].

٦. النظرية الطبيعية فى تفسير ظاهرة العنف:

يذهب أنصار هذه النظرية إلى وجود صلة مباشرة بين تغيرات درجـــة الحرارة وجرائم العنف . ذلك أن ارتفاع الحرارة يزيد من حيوية أجهزة الإنسـان وحدة طبعة ، كما يؤثر على القوى الجنسية ، و تتحكم العاطفـــة فـــى الفـــرد ، وبالتالي تزداد نسبة جرائم العنف وجرائم الآداب ويضيف العالم فيرى الإيطـــالي أن ارتفاع درجة الحرارة ينقص من احتياج الجسم إلى الحرارة اللازمة لبقائـــه ، وبذا تفيض عن حاجه الإنسان القوى والطاقة التى تنتجها الأجهزة الداخلية والتى يمكن أن تدفع الفرد بسهولة إلى أعمال القوة والعنف[٣]. حيث أوضحت دراســـة "عصام المليجى" (١٩٧٣) أن فصول السنة التى يكثر فيها انحراف الطلبة غالبـــا فصل الصيف[٤].

كذلك فإن ارتفاع نسبة جرائم الاعتداء على الأموال فى فصل الشـــتاء ، فنجد تفسيرها فى الليالي الطويلة التى تميز هذا الفصل ، ومن جهة أخرى ، فـإن فصل الصيف عامل مهيئ هام لتزايد جرائم الاعتداء على الأشخاص . ففى هـذا الفصل يغلب الاتصال بين الناس فى الأماكن المفتوحة المزدحمة ، وتزداد فرص الاختلاط بين الأفراد وتطول فترات لقاءاتهم ،وبالتالى تتهيأ دوما ظروف متزايدة

---

(١) عمر محمد التومى الشيبانى: **من أسس التربية الإسلامية** ، ط٢ ، المنشأة العامة للنشـــر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشـتراكية ، ١٩٨٢ ، ص ٤٢٥.

(٢) محمد صفوح الأخرس: **العوامل المؤدية لانحراف الأحداث فى الوطن العربى** ، المركـــز العربى للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ، الجزء الخامس ، بحث مقدم فـــى نـــدوة " النظريات الحديثة فى تفسير السلوك الإجرامى" والتى عقدت فى الفـــترة : ١٩ – ٢١ ذى الحجة ١٤٠٣ هـــ الموافق ٢٦ – ٢٨ سبتمبر ١٩٨٣ ، ص ٤٢.

(٣) يسر نور على و آمال عبد الرحيم عثمان : الوجيز **فى علمى الإجـــرام والعقـــاب** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٠ – ٢٠٠١ ، ص ١٤٢.

(٤) عصام المليجى : **مرجع سابق** ، ص٩.

للتضارب بين الرغبات والمصالح ،ومن ثم للاحتكاك والتشاجر وما قد يصحب ذلك من صور مختلفة لجرائم العنف[١].

٧- النظرية الاقتصادية في تفسير الجريمة:

إن العلاقة القائمة بين الأحوال الاقتصادية والجريمة مرجعها أن الفرد الذى يعيش فى مجتمع يخضع لتعاليمه وأوامره ويكبح فى سبيل ذلك نزعاته ونزواته ،إنما يرضى بذلك فى مقابل أن يوفر له هذا المجتمع حاجاته التى تحفظ عليه حياته وتيسر له سبل العيش ، فإذا ما أخل المجتمع بهذا الواجب فقد يرى الفرد أنه في حل من التزاماته ومن ثم يمضى في سبيل الجريمة[٢].

وقد بدأ الاهتمام بالعامل الاقتصادى ودوره فى السلوك الإنسانى منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وبعض هذه الدراسات تناولت السلوك الإجرامى ومنها دراسة " لاكاسان" وهى من أهم الدراسات التى تناولت العلاقة بين اختلاف المواسم والفصول وبين تفاوت حجم الجرائم وذكر أن أعلى نسبة للجرائم تكون خلال ستة أشهر من السنة ، دون باقى أشهر السنة وذلك لوجود بعض الظروف الاقتصادية فى هذه الأشهر كانتشار البطالة وزيادة الطلب على سلع معينة دون غيرها فى هذا التوقيت من السنة[٣].

كما أن الأوضاع السيئة كالفاقة والمسكن الوضيع والمسكن المزدحم ونقص التعليم وعدم تكافؤ الفرص أوضاع تؤدى إلى حرمان الأفراد من فرص إشباع حاجاتهم الأساسية وتهيئتهم للوقوع فى الجريمة[٤].

لأن الطفل عندما ينشأ فلا يجد فى البيت ما يكفيه من غذاء وكساء ، ولا يجد من يعطيه ما يستعين به على لقمه العيش وأسباب الحياة ، ويتطلع حوله فلا يجد غير الفقر والحرمان والجهد فإن من المؤكد أنه سيلجأ إلى مغادرة البيت بحثا عن الأسباب وسعيا وراء الرزق ، فتتلقفه أيدى السوء وخبراء الجريمة

---

(١) يسر نور على و آمال عبد الرحيم عثمان : **مرجع سابق** ، ص ١٤٣.
(٢) سمير عبده : **مرجع سابق** ، ص ٣٠.
(٣) فؤاد سيد موسى : **الخدمة الاجتماعية فى مجال رعاية الأحداث: المنحرفين والمعرضين للانحراف** ، كلية الخدمة الاجتماعية ، جامعة حلوان ، مكتبة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص٨٢.
(٤) أحمد محمد خليفة : **مقدمة فى السلوك الإجرامى** ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٥٣.

وتحيط به هالة الشر والانحراف ، فينشأ فى المجتمع منحرفا خطيرا على الأنفس والأموال والأعراض[١].

كذلك انتشار البطالة فى المجتمع من أهم الأسباب التى تؤدى إلى الانحراف حيث إن رب الأسرة إذا لم يجد عملا يكسب منه قوته وقوت عياله يكفيهم مطالبهم الضرورية فإن الأبناء سيضطرون مع هذه الظروف القاسية إلى الانحراف والحصول على المال من طرق غير مشروعة والأدهى من ذلك أن الأب نفسه يمكن أن يضطر إلى الحصول على المال من طرق غير مشروعة كالسرقة والرشوة والسطو على المنازل والاغتصاب ، وغير ذلك من الأعمال الإجرامية التى تؤدى إلى الانحراف وفساد المجتمع[٢].

ولقد تأكد في كثير من البحوث أن هناك علاقة وثيقة بين تفكك البناء الأسرى وقصور الأسرة في أداء وظائفها والعوامل الاقتصادية، كما تأكد أيضا أن جميع النظم الاجتماعية تتأثر وظائفها بدرجة كبيرة بالعوامل الاقتصادية ولذلك يمكن القول بأن العوامل الاقتصادية هي سبب للكثير من المشكلات التي يعانيها الإنسان والتي تنعكس بدورها على الأسرة وتؤدي إلى كثير من مشكلات سوء التكيف الاجتماعي.[٣]

وتؤكد لنا نظرية "الحلقات المفرغة "أن الفقر قد يكون سببا ونتيجة لمجموعة من العوامل والقوى التى ترتبط ببعضها ارتباطا دائريا يؤدى إلى استمرار حالة التخلف ، حيث إن كل عامل يؤدى إلى عامل آخر وهكذا . بحيث تنتهى آخر العوامل بالتسليم والعودة إلى العامل الأول المسبب لهذه الظاهرة فمثلا:

إذا ما اعتبرنا الفقر هو سبب التخلف ، فإن الفقر يعنى انخفاض مستوى الدخل الذى يؤدى بدوره إلى انخفاض مستوى التغذية وهو ما يؤدى إلى انخفاض مستوى الصحى فيؤثر فى إنتاجية العمل بالانخفاض ، فيؤدى أخيرا إلى انخفاض

---

(١) مرفت إبراهيم عبد العزيز : **انحراف الشباب : المشكلة والعلاج فى الإسلام** ، ط١ ، الناشر مكتبة العلم والإيمان ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠٧.

(٢) **المرجع السابق** ، ص ٤٢.

(٣) محمد سلامة محمد غباري : **الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب** ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ١٩٩٨، ص ص٥٨-٥٩.

مستوى الدخل ومن ثم شيوع الفقر وهكذا بدأت الحلقة المفرغة بالفقر كسبب للتخلف وانتهت بالفقر كنتيجة لهذا التخلف[١].

ثالثا : الاتجاه البيولوجى:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن هرمون الذكورة "الأندروجين" هو السبب المباشر لوقوع العنف بدرجات كبيرة بين الرجال وأن هذا الهرمون يفرز نسبة عالية أوقات النهار مما يزيد من حدة الغضب لدى الشباب وينمى مشاعر الانفعال وينخفض إفرازه فى المساء ، ولقد أيدت هذه النظرية بعض التجارب المعملية على الحيوانات ولكن بعض الآراء رفضت تفسير عنف السيدات بناء على هذا الاتجاه واعتبروه أمرا غير مقبول[٢]. ويمكن استعراض عدة نظريات فى هذا الاتجاه مثل: النظرية البيولوجية ، والنظرية الوضعية ، والنظرية الوراثية ، وفيما يلى توضيح ذلك:

١- النظرية البيولوجية:

أثبت الباحثون على مر القرون ، أن العنف البشرى غريزة فطرية ، ولقد عمم كل من الباحثين:"كونارد وآندرى" هذا المفهوم ، حيث يريان أن الغريزة العدوانية غريزة فطرية فى الجنس البشرى مثله فى ذلك مثل سائر الحيوانات الأخرى ، حيث أكد "آندرى" أن غريزة حب التملك والعدوان فطرية فى الجنس البشرى مما يفسر انتشار العداء والبغض بين البشر بعضهم البعض ، وتتدرج فكرة (الارتقاء والتطور) وراء هذه النظرية ، حيث يرى بعض الباحثين أن الكائنات الحية مثل الحيوان والإنسان تستمر فى البقاء والحياة بسبب هذه الغريزة العدوانية ، حيث إن الحيوانات العدوانية تحيا وتتوالد وتحافظ على نوعها ، بينما الأقل عدوانا تنقرض ، ولقد أكد " لورنز" أن كلا من العنف والعدوان فى غاية الأهمية من أجل البقاء والحياة[٣].

فهذه الحيوانات العدوانية لديها المقدرة على الاستحواذ وهذا يساعدها فى الحصول على الطعام اللازم لها ، ومن هنا نستطيع إنشاء نظام السيطرة والهيمنة فيما بينها ويساعدها على الاستقرار والبقاء بين المجموعات المختلفة من الحيوانات ، وقد قرر "لورنز" أن العدوان والقوة يساعدان فى توطيد وتأكيد

---

(١) سعيد الخضرى : **اقتصاديات التنمية والتطوير** ، قسم الاقتصاد ، جامعة قناة السويس ، مكتبة الجلاء الحديثة ببورسعيد ، ١٩٩٩ ، ص ص ٢٢٦ -٢٢٧ .

(٢) لويس كامل مليكة: **علم النفس الإكلينيكى** ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧، ص ٩٧.

(3) James William Coleman and Donald R. Cressy: **Op. Cit.**, p. 445.

العلاقة المستمرة بين الذكر ومجموعات الإناث ، حيث يفرض نفوذه بقوته على غيره من الذكور[١].

ولقد تعرضت هذه النظرية لعدة انتقادات من أهمها: حقيقة أن الحيوانات لديها غريزة فطرية عدوانية استحواذية ولكن من الصعب إثبات ذلك بالنسبة للجنس البشرى ، فمن الواضح أن سلوك الإنسان يختلف بكثير عن سلوك الحيوانات.

وجملة القول أن النظرية الفطرية للعنف بنيت على أسس ضعيفة بمعنى ليس لدينا دليل قوى على أن غريزة العدوان فطرية فى الجنس البشرى[٢].

٣- النظرية الوراثية:

يرى علماء الوراثة أن هناك صفات أساسية فى الفرد تأتيه من أبويه وأسلافه عن طريق الوراثة ، فينتقل السلوك الجانح عن طريق الوراثة[٣].

فالأطفال كما يشبهون آباءهم من الناحية الجسمية والعقلية فإنهم يشبهونهم سلوكيا وعاطفيا ، وهناك قول قديم بأن " وصمة الإجرام تجرى فى عائلات معينة " ، وتأكد ذلك بدراسة التاريخ العائلى لمضطربى السلوك ودراسة التوائم المتماثلة (أى هى التى تتكون من بويضة واحدة ملقحة) التى كشفت أنه إذا كان الآخر مجرما بنسبة ثلاثة من كل أربعة ، بينما فى التوائم غير المتماثلة (أى هى التى تتكون من بويضتين منفصلتين ملقحتين) تقل النسبة إلى واحد من كل أربعة[٤].

وتأكد ذلك أيضا فى دراسات عن الأطفال مضطربى السلوك الذين فصلوا من والديهم وتبناهم آباء آخرون ؛ حيث وجد ارتباط ذو دلالة إحصائية بين هؤلاء الأطفال وبين آباء بيولوجيين مضادين للمجتمع أو أقارب بيولوجيين مضادين للمجتمع أو مضطربى السلوك. كما أن هناك ارتباطا وراثيا بين

---

(1) Ibid. p. 445.

(2) Ibid., p.446.

(٣) جعفر عبد الأمير الياسين: "أثر التفكك العائلى فى جنوح الأحداث" ، ط١ ، عالم المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ ، ص ٣٥.

(٤) محمود حمودة: الطفولة والمراهقة: المشكلات النفسية والعلاج ، الطب النفسى ، المطبعة الفنية ، القاهرة ، ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ ، ص ١٤٣.

اضطراب نفسى آخر غير اضطراب السلوك مثل (الفصام) لدى أحد الوالدين وبين اضطراب السلوك[١].

حيث ثبت أن الخلية الإنسانية التى يتكون منها الكيان الإنسانى تتكون من جزئين هما: النواة والبلازما. وتتكون النواة من مجموعة من الكروموزومات تحمل ما يعرف باسم الجينات أو الصبغيات أو الإمكانيات الوراثية للإنسان[٢]. هذه الجينات لها دور مهم فى ظاهرة العدوان والسلوك العنيف ، رغم أن السلوك العدوانى له صفات معقدة فى البحث الجينى[٣].

ويفترض أن المحددات الوراثية وغيرها من المحددات البيولوجية تلعب دورا حاسما فى تطور الفرد. ويرى أنه يمكن الحصول على تمثيل هذه العوامل من خلال مجموعة من القياسات قائمة على البنيان الجسمى ، ففى رأيه:هناك بناء بيولوجى مفترض (الطراز البنائى) Morphogenotype ، يكمن وراء البنيان الجسمى الخارجى الملاحظ (الطراز الظاهرى) phenotype ، ويلعب دورا هاما لا فى تحديد النمو الفيزيقى فقط ولكن أيضا فى تشكيل السلوك[٤].

ويؤخذ على نظرية الوراثة ، على الرغم من التسليم باختلاف درجة التوافق فى الإجرام بين التوائم المتماثلة والتوائم غير المتماثلة ، فإن هذا الاختلاف لا يصلح دليلا كافيا على وراثيه الإجرام ، وذلك لأن التماثل الكبير فى السلوك الإجرامى بين التوائم المتماثلة قد يرجع إلى عوامل أخرى خلاف الوراثة ، كالتماثل فى الخبرة والبيئة الاجتماعية[٥]. وبعد عرض الاتجاه البيولوجى تتناول الدراسة الاتجاه التكاملى كما يلى:

رابعا: الاتجاه التكاملى:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن عوامل الجنوح عديدة ومتشابكة يرجع بعضها إلى الفرد نفسه (عوامل بيولوجية ونفسية) ، ويرجع البعض الآخر إلى بيئة الفرد التى يعيش فيها ، لذا لا يمكن رد السلوك المنحرف إلى عامل واحد ،

---

(١) المرجع السابق.

(٢) فخر الدين خالد عبده: **العلاقات العامة والشرطة فى مجال مكافحة الجريمة** ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٨، ص ١٤.

(3) Maurine Jackson O'Bannon and others: "Psychological Abstracts", **the American psychological Association**, Inc., Vol. 88, N. 2, February 2001 ,p. 620.

(٤) عبد اللطيف محمد خليفة: "ارتقاء القيم: دراسة نفسية" ، **عالم المعرفة** ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عدد ١٦٠ ، رمضان ١٤١٢هـ ، أبريل ١٩٩٢، ص ١٠٨.

(٥) عدلى السمرى : **مرجع سابق** ، ص ٧٥.

وإنما هو حصيلة عوامل مختلفة متفاعلة بعضها مع بعض سواء كانت عضوية أم نفسية أم بيئية فلا يمكن النظر إلى الفرد بمعزل عن البيئة ، ولا يمكن النظر إلى البيئة بمعزل عن الفرد ، فكل منهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به[1].

ومما سبق ، يتضح أن اتجاهات دراسة ظاهرة العنف متكاملة وليست متعارضة ؛ لأن كل اتجاه يفسر ويحدد عدة عوامل مساعدة لانتشار الظاهرة. فالاتجاه النفسى يرجع العنف إلى ما يصيب تكوين الشخصية من خطأ فى مرحلة الطفولة المبكرة أو نتيجة إحساس البعض بالظلم وعدم العدالة والمساواة فى مجتمعهم. أما الاتجاه الاجتماعى فيرى أن سلوك العنف مكتسب من خلال عملية التنشئة الاجتماعية كالأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق إما بسبب البطالة والمسكن المزدحم والتفكك الأسرى والفقر والجهل أو بسبب التغير الاجتماعى ، أو مناخ الجو. أما الاتجاه البيولوجى فيفسر العنف على أنه غريزة فطرية فى الجنس البشرى ، أضف إلى ذلك دور الجينات الوراثية. أما الاتجاه التكاملى فيفسر العنف على أنه ينتج بسبب كل ما سبق من عوامل بيولوجية عضوية ونفسية وبيئية (فردية/اجتماعية).

وانطلاقا من استعراض الاتجاهات والنظريات المفسرة للعنف يمكن التعرف على العوامل المساعدة فى انتشار ظاهرة العنف فى مدارس التعليم الثانوى بمصر ، حيث تتناول الدراسة ذلك فى فصلها الثالث.

---

(١) جعفر عبد الأمير الياسين : **مرجع سابق** ، ص ص ٤٤ – ٤٥ .